جائزة الأدب الكبرى

هنرى دو منترلان

Henry de Montherland

بقلم على كامل

لمحة عن أدبه وفنه

منحت الأكاديمية الفرنسية جائزة الأدب الكبرى للكاتب الشاب هنرى دو منترلان ، فارتفع بذلك اسمه إلى مصاف أكبر الكتاب الفرنسيين المعاصرين ، وتنبهت الأذهان إلى الطابع المخصوص الذى يمتاز به أدبه كفن من فنون القصة الفرنسية الحديثة :

وهنرى دو منترلان كاتب من كتاب الشباب الذين تفتحت عيونهم على ضوء هذا القرن العشرين . ولد عام ١٨٩٦ ، ودخل مدرسة سانت كروا دو نوبي . ولما شبت الحرب الكبرى خرج من المدرسة ليشترك فيها وجرح جروحا بليغة . وكان طبيعياً أن يعود منترلان وقد ملأت نفسه نزعة التشاؤم والثورة ، فقد هجر مدرسته ليخوض غمار المجزرة البشرية الكبرى وهو لم يتجاوز الثامنة عشرة من عمره ، فعانى فيها أشهرا من الحرمان والتضحية لم يجد لهما مبرراً أمام عقله الذى يفكر وقلبه الذى يحس ، كما يفكر ويحس كل أديب فنان ينزع نحو مثل عليا فى الحب والرحمة والأخاء

عاد منترلان من الحرب ضائع العزم محطم الآمال . وكان استعداده الأدبى قد ابتدأ يتفتح على ضوء تجاربه ومحنه السابقة ، فانصبت آلامه وثورته فى أدبه تلمسها من بين خفايا السطور ، وكانت إنسانيته الحزينة تدفعه — كغيره من كتاب الشباب الذين خاضوا غمار الحرب — لوصف أهوالها وما جرته وراءها من التدهور الأخلاقى والفكرى . كذلك فان (أنانية الفنان) التى تغمره كانت تأبى عليه أن يضحى بشىء دون أن ينال على تضحيته جزاء يبررها ويلتمس منه العزاء . لذا لم يغفر منترلان لأمته وللمجتمع تضحيته الكبيرة حين جرفته العاطفة الوطنية كغيره دون وعى الى ميدان القتال ليتعذب شر عذاب ويعود جريحاً بين الحياة والموت فاقد الأمل فى إتمام حياته المدرسية .

ولقد كان هذا الشباب المعذب دافعاً لهنرى دو منترلان الى أن يهيم بتلك السن التى ضحى وتألم فيها ، فأصبح يمجد سن الشباب (تلك السن — كما يقول — التى لاتعترف بجميل . سن القلب والنفس . نجم الحياة المتألق) . ولقد تدرج منترلان من ذلك الى الغرام بالألعاب الرياضية لأنها المظهر الذى تتمثل فيه حيوية الشباب وجبروته ، ولأنها الوسيلة لأطالة عهد الشباب الى أبعد مدى مستطاع

و (أدب الالعاب الرياضية) فن حديث جداً فى الأدب الفرنسى . وترستان برنار هو صاحب الفضل الاول فى تغذية القصة الفرنسية بالأفكار الرياضية ومعالجة شئونها ووصف أبطالها ، وكان يحب الكتابة عن ألعاب الملاكمة وأبطالها كما فى قصته Nicola2 Bergère على أن هذه الحركة ظلت بطيئة الخطر ، ولم يتعد نشاط قادتها القليلين الكتابة فى الصحف والمجلات ، وإخراج عدد قليل من الأعمال الأدبية التى لم تكن ذات قيمة تذكر . . الى أن كانت الالعاب الاولمبية عام ١٩٢٤ فنشط أنصار (أدب الالعاب الرياضية) وأرادوا أن يدخلوا الفنون الرياضية فى القصة الطويلة والقصيرة وفى الشعر أيضاً ، وكثر عددهم واتسعت مدرستهم وأصبح كل منهم متخصصاً فى الكتابة عن فن من فنون الالعاب الرياضية ، فمنهم من هام بالسيارات مثل هنرى كستما كرز Kistemackers كما فى قصته M. Dupont Chauffeur ومشيل كوردای Kordoy فى قصته Nonsieur. Nadrme et L'auto واكتاف ميربو Mirbeau فى قصته الشهيرة La 628-E8 التى تعتبر فى نظر النقاد أروع قصة فى (أدب السيارات)

ومنهم من ولع بألعاب كرة القدم مثل جان برنييه Bernier فى قصته Tête de mêlée ولوي هنرى دستل Destel فى قصته Desroches footballeur وتعتبر قصة L, Histofre de quinze hommes لمارسيل برجيه Berger خير ما كتب فى (أدب كرة القدم)

وهناك غير هؤلاء الكتاب عدد كبير من أنصار هذه المدرسة جعلوا من شخصيات قصصهم أبطالاً لفنون رياضية أخرى مثل سباق الخيل والطيران وغيرها.

وهنرى دومنترلان يعتبر اليوم زعيم الأدباء الشبان على الاطلاق ، وأدب الالعاب الرياضية على الخصوص . وقد برع فى الكتابة عن المصارعة . وسافر خصيصاً الى اسبانيا وتعلم طريقة مصارعة الثيران

ودرس نفسية أبطالها وأخلاقهم ثم عالج ذلك فى قصته Les Bestiaires

كان أول أعمال منترلان كتابه La Relève du Matin الذى كتبه عام ١٩١٦ وظهر عام ١٩٢٠ وهو قطع من الشعر المنثور يصف فيها ذكرياته عن الحرب والمدرسة التى كان يتعلم فيها . وفى عام ١٩٢٢ ظهرت قصته Le Songe وفيها يمجد الالعاب الرياضية والصداقة التى بين الابطال الرياضيين . تلك الصداقة التى يضعها (البان) بطل القصة فوق الحب . وفكرة (البان) عن الحب هى فكرة الكثرة العظمى من أبطال الرياضة الذين يقعون فريسة النزاع الدائم بين نداءين : نداء القلب ونداء الواجب الرياضى الذى يطالبهم بالابتعاد عن النساء كيما يحتفظوا بعناصر القوة فيهم . وينتهى بهم الأمر الى انتصار النزعة الرياضية وعبادة القوة والمجد فيتضاءل مركز المرأة فى نظرهم . وهم لذلك لا يؤمنون بالحب العاطفى . فالحب فى نظرهم ميل جسدى اذا ما تحقق مات ما يسميه الناس بالحب ، ولذا نرى (البان) يرفض حب القلب بقسوة

ولألبان هذا رأى غريب الى حد ما . فهو يقول إن العالم خاضع لفلسفتين : فلسفة النساء وفلسفة الرجال . فالأولى تتمسك بالديموقراطية ، أما الثانية — وهى التى يؤمن بها بعناد — فهى تتشبث بالماضى المجيد وبالقومية .

وفى قصة le Paradis à I,ombre des épées (١٩٢٤) نرى منترلان يبرر اهتمامه بالألعاب الرياضية إذ يعتبرها مرحلة من مراحل تحقيق الشخصية ، على أن فكرته فى علاقة الرياضة بتكوين الشخصية تتكرر بشكل أقوى بروزا فى قصة (مصارعى الوحوش) Les Bestiaires (١٩٢٦) . إذ يعرض لنا منترلان نوعاً من أنواع المخاطرة الجريئة ، تلك التى يستهدف لها مصارعو الثيران يعرضها مصاغة فى قالب بارع يدفعنا لاحترام أولئك المصارعين البواسل الذين يغامرون بحياتهم حباً فى السيطرة وإظهاراً للقوة وامتحاناً لشخصياتهم التى لا تعتبر كاملة فى نظرهم إذا عرفت للوجل معنى !

وقد كتب منترلان فى هذه الفترة القصيرة من حياته الأدبية عدداً كبيراً من القصص أهمها عدا ما ذكرنا قصة Aux fontaine du Désir (١٩٢٧) و Pages de Tendresses (١٩٢٨) و La Petite Infante de Costille (١٩٢٩) و La Rose des Sables و Hispano Mauresque .. وكانت آخر قصصه قصة (العزاب) Les Cilibataires

والآن قد يتساءل القارىء . كيف يبشر منترلان بقيمة الألعاب الرياضية ويخصص أدبه لخدمتها والدعوة لنشرها وهو الناقم على مظاهر العنف ، الثائر على نظام الجندية والحرب ، الداعى الى الأخاء والمحبة والتعاون ؟ ومنترلان نفسه يحس بالتناقض الظاهر بين طبيعته الثائرة المتمردة وبين نظام الألعاب الرياضية الذى يدعو اليه وما فيه من معانى الترف البرجوازى . على أنه يقبل ذلك كارهاً غير مرتاح الضمير . يقبله كوسيلة لتحقيق فلسفته التى ترى فى الألعاب الرياضية — كما ذكرنا — وسيلة لأبراز الشخصية والسمو بها على سائر الشخصيات التى تحيط بها . والواقع أن منترلان قد أجاد تصوير فكرته بطريقة غاية فى الابداع . فأنت تلمح من خلال شخصيات قصصه كيف تتفتح الشخصية وتسود حين يصبح صاحبها بطلاً من أبطال الرياضة . وكيف يغمر صاحبها النشاط والحيوية وعبادة البطولة التى تدفعه للاستهداف للموت راضى النفس مرتاح الضمير

وأدب منترلان أقرب إلى الرومانتيكية منه إلى الواقعية وهو فى ذلك يقول (إن الواقع والحقيقة تقع عندى فى المرتبة الثانية) وإذا كان كل كاتب لابد أن يتأثر بروح بعض من سلفه من الكتاب ، فان بلزاك وشاتو بريان يطبعان أدب منترلان بطابع لا يمكن إنكاره وتناسيه

ويمتاز هنرى دو منترلان بأسلوبه الرائع ، فثروة الألفاظ وحسن اختيارها وأدائها ، والموسيقى السامية التى تلبس عباراته فتعبر عما يدوى بين أرجاء نفسه من النزعات والعواطف هى أظهر ما يميز فنه وشخصيته بين الكتاب الفرنسيين المعاصرين .

على فاضل

مجموعة السنة الأولى للرسالة

لدى الادارة مجموعات مجلدة من السنة الأولى للرسالة تباع بخمسة وثلاثين قرشا غير أجرة البريد فى مصر وبخمسين قرشا فى البلدان الأخرى